المرأة الفلسطينية في لهيب الثورة

□ فاطمة برناوي (فتح) قامت بعملية جريئة في القدس ، ووقفت شجاعة امام المحكمة □

□ آمنة حنبلي (جبهة شعبية) : يحاكمها العدو لمشاركتها في عمليات نسف في القدس □

عابدة سعد (جبهة شعبية) مجرم في وضح النهار بالقنابل ، على دوريات العدو

□

بعد اكثر من عامين على الاحتلال ، اصبح من الصعوبة بمكان الاحاطة بسجل نضال المرأة الفلسطينية ، او الوقوف على مسح احصائي شامل للمواجهات البطولية التي اتخذتها المرأة الفلسطينية وهي تدافع عن شرف أرضها وكرامة وطنها . فضلا عن ان المقاومة ، لا تكتسب قيمها ومدلولاتها من الحجم العددي — وان كان له دوره واهميته — بل من طبيعة المواقف ، التي تحملها المقاومة وهي تتصدى لعدوعصري فاشي ، يلبس لبوس الديمقراطية ، ويحاول ان يحتال على الحضارة ..

من الضروري الانتباه الآن ، الى الدور الذي تلعبه المرأة الفلسطينية، ليس بالنضال اليومي الشاق ، او المواجهة العملية للعدو فحسب ، ولكنه فوق ذلك ، دور اجتماعي ، لا يمكن ان نغض الطرف عنه او نقلل من أهميته .

فنضالها الآن يكتسب مدلولا تقدميا، بخروجها من العزلة التي فرضتها عليها المفاهيم التقليدية ، وتحطيمها لكل الاسوار والحواجز التي غرزتها ورسختها التقاليد الرجعية المتزمتة .

من هنا ، تكتسب الثورة الفلسطينية بعدها الاجتماعي التقدمي ، وتحظى بشمول رؤية ، لا غنى عنها لتحقيق النصر .

فالثورة لا تستطيع ان تحلق بجناح واحد ، ولا تملك التقدم بقدم واحدة.

بعد حزيران نشأت اتجاهات عديدة ، تفسر الهزيمة ، و « تبررها » ومن جملة ما قيل ، ان التخلف الحضاري ، كان وراء الهزيمة . كما ان التحدي القائم الآن هو بالدرجة الاولى تحد حضاري .

مثل تلك الاجتهادات ، لا تخلو من الصحة ولكن شرط ان تتخذ حجمها الحقيقي ، بدون مبالغة ، وبدون مركبات ، وبدون رومانطيكية .

اليس من المعقول ان تكون الهزيمة محتمة ، ما دام نصف الامة مشلولا محبطا ، وبدون فاعلية وحضور ؟

المرأة الفلسطينية ، عرفت كيف تستجيب للتحدي .

ولم تقف عند حدود المعرفة و « الفهم » ، بل انتقلت دون تردد الى صعيد الممارسة والتنفيذ .

العرض والارض

مما يروى من حكايات التعذيب والاضطهاد ، تبرز حكاية تنفرد عن غيرها .

اعتقلت معلمة ، بعد ان وجهت اليها تهمة الانتماء لاحدى منظمات المقاومة . وبوشر التحقيق معها بمختلف وسائل الضغط والترغيب والتهديد ، في سبيل الحصول على اكبر كمية من المعلومات .

وخلال كل ذلك ، كان موقف المعلمة هو الرفض والصمود .

ولم يجد التحقيق حرجا ، في اللجوء الى اساليب التعذيب النفسي فكان ان ادخلت الى غرفة مخصصة للمومسات ، وهؤلاء انهلن عليها بالضرب والشتم ، حتى افرغن كل قاموسهن القذر في وجهها . وبعد ذلك اخذن في تمزيق ملابسها ، حتى عرينها وبدأن بضربها بشكل مبرح . وحضر على صراخها رجال الشرطة ،

□ نعمت كمال : يقول العدو انها مسؤولة عن فدائيات الجبهة □

ولكنهم لم يتخذوا اي موقف لصالحها، ولم يفعلوا شيئا لانقاذها .

واستمرت المومسات في التنكيل بها فقد اطفان السجائر على جسدها ، وقصصن شعرها (ترى كيف حصلن على المقص او السكين ؟) ، كما انهن يتورعن عن كسر اثنين من اسنانها.

الى هنا والحكاية لم تنته ، ولكنها تمهد للفصل القادم الاكثر اثارة ودلالة.

عندما يئس التحقيق من الحصول على اية معلومات منها . وعندما استنفذ كل الوسائل التقليدية، وغير الاخلاقية، في ارغامها على الاعتراف لم يجد اي حرج او وازع في توجيه مثل هذا التهديد اليها :

— « اذا لم تعترفي ، وتبوحي بكل الاسرار التي تملكينها فسيكون جزاؤك النوم مع احد جنودنا ، الذي سيتكفل بانجاب صبي يهودي منك .. ! »

حاول العدو بهذه الوسيلة المنحطة ان يستغل الفكرة السائدة ، من ان « العرض » او « الشرف » بالنسبة للعربي ، يعتبر قضيته الكبرى ، والتي يتنازل عن كل شيء — حتى الوطن — في سبيلها .

ولا شك بان هذه الفكرة استخدمها العدو مرارا ، ولعبت دورا سلبيا ، لا يمكن التغاضي عنه ، وخاصة في

□ مريم شخشير (جبهة شعبية) شاركت في نسف كافتريا الجامعة العبرية □

عملية النزوح الدامية الاخيرة (راجع « النازحون : اقتلاع ونفي » — حليم بركات وبيتر ضود) .

لكن رد المعتقلة البطلة كان مخيبا لآمال محققيها ، بقدر ما كان مفاجأة مذهلة لم تخطر على بال .

قالت المعلمة : لا يؤذيني الآن ان تغتصبوني ما دمتم قد اغتصبتم الارض ، ولا يعنيني جسدي بقدر ما يعنيني جسد الارض الذي اعتديتم عليه ، وكما ان سيطرتكم على الارض بالقوة لم يكن يعني ، ولن يعني ابدا ، انكم امتلكتموها ، فكذلك سيكون تنكيلكم بجسدي، انتم متصورون ان تهديدكم هذا سيلوث شرفي ، ولكنكم مخطئون تماما فاغتصابكم لارضنا لم يقتل من ولائنا لها »

هذه القصة ليست تصورا ذهنيا . بل هي حكاية واقعية .

اما اسم البطلة فليست له تلك الاهمية ، وان كان بين ايدينا .

امينة دحبور وعبلة طه

وهناك حكاية اخرى ، لم يعد يجهلها احد .

□ امينة دحبور : هجوم جريء على طائرة العدو في زوريخ □

حكاية امينة دحبور ، التي كانت معلمة في قطاع غزة قبل الاحتلال ، وقد نزحت بعد حزيران ، وعملت في احدى مدارس وكالة الغوث ، في مخيم البقعة المتاخم للعاصمة الاردنية . من الضروري الانتباه الآن ، الى ان امينة نشأت في مجتمع ريفي ، تسيطر فيه القيم التقليدية ، بشكل يجعل الصلة بين المرأة والرجل امرا مستحيلا ، الا في حدود العلاقات العائلية الضيقة .

لكن امينة « المهددة الآن بالحكم مدى الحياة » لم تتردد في السفر الى بلد اجنبي ، برفقة ثلاثة شبان ، لا تربطها بهم ، سوى علاقة النضال، « وقرابة » المصير .

بذلك كانت امينة ، نموذجا لوعي المرأة الفلسطينية ، وسلامة توجهاتها وتسجيلها بحصانة النضال والفكر الثوري .

وقد اكتسبت تلك الرؤيا من خلال ممارستها النضالية في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وفكرها الثوري .

اما عبلة شفيق طه ، فانها تعتبر مثالا آخر ، للمرأة الفلسطينية الواعية الملتزمة . فبرغم انها متزوجة، وتنتسب الى مدينة مشهورة بكونها محافظة ، اكثر من القرى .. وهي مدينة الخليل. رغم كل ذلك فقد رفضت التفرغ للمسؤوليات العائلية ، ووهبت نفسها للمقاومة ، حتى قبض عليها العدو ، وكانت آنذاك حاملا ، وقد دامت جلسة التحقيق الاولى معها ٤٠ ساعة كاملة (كما افادت بذلك للجنة التحقيق الدولية) كما دام اعتقالها سبعة اشهر متواصلة ، تنقلت خلالها بين مختلف السجون في الارض المحتلة ، وذاقت مختلف وسائل التعذيب النفسي والجسدي .

ومما حصل خلال محاكمتها ان ضابط المهمات الخاصة الاسرائيلي،

جيل م